فتح البر ببيان بعض فوائد سورة العصر

محاضرة كانت في بلاد الجزائر

ولاية وادي سوف لأبي محمد عبدالحميد الزعكري

بسم الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}.

وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى.

في هذه الليلة **(ليلة الأول من ربيع الثاني من عام ألف وأربع مئة و احد وثلاثين)** في هذه مدينة وادي سوف من الجزائري ومازلنا نستمر مع إخواننا لما أتينا من أجله من تحقيق المراد من قول الله عز وجدل: **{وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)}**

فالمؤمنون جميعاً رجالهم ونساءهم وشبابهم وشيوخهم وجنّهم وانسهم يجب عليهم ويتحتم أن يعملوا بهذه السورة العظيمة وذلك لأن الدين قائمٌ على ذلك ما دلت عليه.

ولأن سلامة العبد المؤمن من العطب ومن الخسارة الدنيوية والأخروية لاحقٌ لذلك والله عز وجل كما تعلمون وتعتقدون أنه أحسن قيلا وأصدق حديثا وقد أقسم قسماً بمخلوق من مخلوقاته وله ذلك لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون يقسم بما شاء تعظيما لذلك المخلوق ولا يجوز للمخلوق أن يحلف بغير الله تعالى وملخص ما يقسم به يعود إلى قسمين:

الأول: الحلف بأسماء اللهَّ وصفاته وهذا هو الذي لا ينعقد إلا هو.

الثاني: الحلف بغير اللهَّ ﷻ والحلف به محرم وصاحبه بين عظيمتين: أحدها: الشرك الأكبر إن قرنه تعظيم للمحلوف به والآخر: شرك أصغر.

وأما الحلف في القرآن بغير اللهَّ عز وجل فالجواب عليه ما قال ابن الملقن في "الإعلام" (٩/ ٢٥٨) عنه جوابان:

أحدهما: أنه على حذف مضاف كما سلف في الحديث -يشير : إلى تقدير ورب الشمس ورب مواقع النجوم-.

الثاني: أن اللهَّ تعالى يقسم بما شاء للتنبيه على شرفه؛ فإنه المتصرف في ملكه كيف يشاء ونحن لا نتصرف إلا كما أذن لنا وقد أبلغنا نبيه عليه الصلاة والسلام فقال: «من كان حالفاً فليحلف با لله أو ليصمت». انتهى

قوله: (**وَالْعَصْرُ**) العصر: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ قاله ابن كثير في تفسيره.

قوله تعالى: **{ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ}**

أكد خسارة الإنسان بحرف التوكيد إنّ وباللام الداخلة في خبره كما أكده بالقسم وهذه التوكيدات الثلاث تدلك دلالة واضحة على أهمية هذا الأمر الذي فيه صلاحك وصلاح معادك وصلاح حياتك ومماتك.

والمراد بالإنسان جنس الإنسان فكل إنسان في خسارة وضياع إلا من استثناه الدليل على ما يأتي.

قوله: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} استثنى الله عز وجل طائفة واحدة من هذه الخسارة الناس يتفاوتون منهم من يخسر بشهوته ومنهم من يخسر بشبهته ومنهم من يخسر بهما جميعا ويتبع هواه قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}

{وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}

وإنما ينسى يوم الحساب أهل الخسارة أهل البعد والإعراض أهل الجحود أهل الكفر والعناد فالسالمون من الخسارة الدنيوية والأخروية صنفٌ واحدٌ وكلٌّ يقول أنا هو

(وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلًا لِلَيْلَى وَلَيْلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بذاكا)

فالدّعاوى ما لم يقيموا عليها بيّنات أصحابها أدعياء.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لو يُعطى الناس بدعواهم ، لادّعى رجالٌ أموال قوم ودماءهم ، لكن البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر**) حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا ، وبعضه في الصحيحين

فما هي الصفات التي يوصف ويتميز بها أهل السلامة من الخسارة ؟

قال الله عز وجل: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} هذا بيان لمن استثناه الله تعالى من صنف الخسارة في الدارين.

فالشرط الأول: الإيمان : وبشمل أركان الإيمان الستة الإيمان بالله وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»

والإيمان بالله: يتضمن الإيمان بوجوده والإيمان بربوبيته والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته.

والإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يتضمن الإيمان بما أخبر و طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

والإيمان برسل الله يستلزم الإيمان بما أخبر من الرسل فنؤمن بمن عرفنا من أسماءهم ونؤمن بمن لم نعرف {ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما}

ونؤمن ونقر ونعترف ونعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ودينه ناسخٌ لجميع الشرائع والأديان فمن زعم أنه يسعه الخروج من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى فقد كفر.

ونؤمن أن من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى وغيرهم فهو كافر لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ**

يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ".

أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الإيمان بكتب الله فنؤمن بأن الله عز وجل انزل توراة والإنجيل وأنزل صحفاً على إبراهيم وصحفاً على موسى وأنزل على داود الزبور وأنزل كتبا غير ذلك قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]

فنؤمن بها إجمالاً على أنها من عند الله وأنها قد حُرفت وبُدلت وغُيرت بخبر الله الحق إلا القرآن.

ثم نؤمن أن هذا القرآن ناسخ لجميع الكتب قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ}

مهيمن على جميعها وناسخ لها وأنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }

فنعمل بمحكمه ونؤمن به وما أشكل وأشتبه علينا منه نرده إلى أهل العلم لعلمهم به وإن لم نجد فنقول كما قال تعالى: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }

والإيمان بالملائكة: فنؤمن بملائكة الله وبمن سمى منهم ومن لم يسم وبأنهم خلق ولهم صفات خلقهم الله من نور كما خلق الجن من نار وخلق الإنسان من طين كما في حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم.

وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن لهم وظائف منهم ملك الجبال وجبريل وميكائيل وحملة العرش وإسرافيل وغير ذلك مما هذا ليس موطن بسطه.

ولإيمان باليوم الآخر: فنؤمن باليوم الآخر وما فيه من الصراط والميزان والحوض وتطاير الصحف ويدخل فيه عذاب القبر ونعيمة والضمة والفتنة وغير ذلك والنظر إلى وجه الله عز وجل ونؤمن بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان لا تبيدان.

ونؤمن بما أخبر الله عز وجل من المغيبات فنؤمن بخبر الله عز وجل ونؤمن بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونؤمن بالقدر خيره وشره وأن ما أصابك لم يكن ليُخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك جف القلم بما هو كائن

ومراتب القدر أربعة العلم والكتابة والمشيئة والخلق دل عليها أدلة الكتاب والسنة

والقدر سر الله عز وجل وعلمه وأعظم الناس جهلاً به من تعمق في الخوض فيه وأعظم الناس علماً به من أمنوا به وجمعوا بين الآيات بعيداً عن أفكار المجبرة من الجهمية والأشاعرة وأفكار النُفاة من المعتزلة.

فالإيمان بالله والإيمان بما ذُكر يُنمي في الإنسان محبة الخير ويدعوه إلى نشر الخير ويحذره من الشر والضير لأنه يعلم أنه عبد مخلوق مربوب وبأن الله عز وجل أمره ونهاه وبأن الله عز وجل أرسل إليه ملائكة حافظين وأرسل إليه رسلا يعلمونه ما جهل {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**}

والإيمان بالقدر فيها الاستسلام والانقياد لله عز وجل والرضا بقضاء الله تعالى.

الإيمان باليوم الأخر فيه الحث على ملازمة الطاعات والقربات فإن العمر قصير وما نقدم عليه عسير.

قوله: { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي لازموا فعل الطاعات والقربات فكل ما أمر الله تعالى به فهو من الصالحات.

فالشرط الثاني للسلامة من الخسارة: ملازمة العمل الصالح:

فمدعي الإيمان كثير لكن ينبغي أن يقرن القول بالعمل ولهذا قرن الله عز وجل بين الإيمان والعمل في ستة وخمسين موضعاً من القرآن قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)}

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}

{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } في آيات طيبات مباركات كثيرة.

ويعرف الإيمان عند أهل السنة والجماعة بأنه قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ» ذكره البخاري في كتاب الإيمان.

والأعمال داخلة في مسمى الإيمان وليست بخارجة عنه كما زعم المرجئة الذين يزعمون أن الذي لا يعمل والذي يعمل سواء حتى قال قائلهم والإيمان أهله في أصله سواء أو كما

قال الطحاوي، وقال قائلهم لما رأى امرأة ترقص هذه على إيمان امرأت عمران وقال الأخر أنا على إيمان جبريل وميكائيل.

فالصلاة والحج والزكاة والجهاد وصلة الرحم وغيرها من الطاعات كلها من الإيمان.

والإيمان يزيد وينقص: والإيمان يزيد بالطاعات والقُربات وينقص بالمعاصي والسيئات والبدع والشركيات وأدلة زيادة الإيمان ونقصانه ليس هذا موطن بسطها قَالَ اللهُ تَعَالَى {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: ٤] {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: ١٣] {وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم: ٧٦] {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: ١٧] وَقَوْلُهُ: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: ٣١] وَقَوْلُهُ: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا [ص:١١] الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [التوبة: ١٢٤] وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: ١٧٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢]

قوله تعالى: { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ } أي أن دينهم قام على النصيحة

الشرط الثالث من شروط السلامة: التواصي بالحق. فالله عز وجل حق { ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)} والقران حق كما اخبر الله عز وجل عنه { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } والنبي صلى الله عليه وسلم حق كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس رضي الله عنه في البخاري ومسلم : **(ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق....الحديث**

فنؤمن بهذا كله ونتواصى بالحق الذي هو القرآن والسنة لأنه جاء من عند الحق سبحانه وتعالى ولأن الذي جاء به الداعي إلى الحق محمد صلى الله عليه وسلم ولان مايضاد القرآن

والسنة باطل وإذا تزاحم الباطل مع الحق ذهب الباطل {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)}

وقال الله عز وجل : {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ} وهذا ليس بالتخيير وإنما هو بالتهديد قال الله عز وجل: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}أي من تخلف عن الحق وعن أصحابه و أهله ولازم سبيل المجرمين

{ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)}

ولما كانوا ما هم أصحاب حق يغاثوا بنظير ما كانوا فيه لما كانوا في الباطل أُغيثوا بشئ يزيدهم شدة إلى شدتهم وعناء إلى عناءهم وعذاب إلى عذابهم {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)}}

فالله عز وجل أقسم أنه الحق وبالحق يقول قال: {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) } فالله الله بالتواصي بالحق والدعوة إلى الحق

والحق هو الكتاب والسنة فادع إليهما تفلح وتربح وتنجح {قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي }

وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة الى الحق ادعو إلى الله على بصيرة أي على علم ومعرفة بالحق ومعرفة بالباطل الذي يحذر منه.

والذي ما عنده معرفة بالحق ومعرفة بالباطل يدخل على الناس ما ليس من الحق ويدخل على الناس الباطل ولهذا قال الله عز وجل: **(أدعو إلى الله على بصيرة)** أي على حق ومعرفة وبيان أنا ومن اتبعني كلنا ندعو إلى الله على بصيرة وحق نعرفه ونعتقده وندين به.

فالحق الحق لازمه على نفسك لازمه على غيرك لازمة بحضرك لازمه بسفرك واحذر من تلبيسات الشيطان أن يعظم نفسك إليك فلا تظن أن الحق إلا فيه أو أن يعظم بعض الناس إليك لا تظن أن الحق إلا فيه.

فالحق هو الكتاب والسنة والناس يصيبون ويخطؤون ويعلمون ويجهلون

فالواجب على المسلم أن يكون ذهابه وإيابه وقيامه وقعوده على طريقة الكتاب والسنة ففيهما السلامة من العطب وفيهما طريق الوصول قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه ((.....**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ ... ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**)) أخرجه مسلم

فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به فهو حبل الله المتين من تمسك به نجا ومن تركه ضل وغوى انصر الحق الذي هو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامش به وادع به وهذا يحتاج إلى علم وإلى عمل والدليل هو أن الله عز وجل إنما أمر بالتواصي بالحق لما ذكر قبل ذلك الإيمان والعمل.

فالإنسان العامل ربما تكون دعوته الفعلية أبلغ بكثير من دعوته القولية

والإنسان غير العامل ضرره كثير وكبير فعن حُذَيفَة بن اليمان – رضِي الله عنه – أنَّه قال: **كان الناس يسألون رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدرِكني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل**

بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم))، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: ((نعم، وفيه دَخَنٌ))، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: ((قومٌ يَهدُون بغير هَديِي، تعرِف منهم وتُنكِر))، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: ((نعم؛ دُعَاة على أبواب جهنَّم، مَن أجابَهُم إليها قذَفُوه فيها))، قلت: يا رسول الله، صِفْهُم لنا؟ قال: ((هم من جِلدَتِنا، ويتكلَّمون بألسنتنا))، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم))، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: ((فاعتَزِل تلك الفِرَق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يُدرِكَك الموت، وأنت على ذلك))

فعلماء السوء وقفوا على أبواب الجنة يدعون الناس بأقوالهم ويصدونهم عنها بأفعالهم إلا أن تكون عالما عاملا فلازم الخير مع صديقك وعدوك ومع موافقك ومخالفك لتكن إرادة الخير منك للمسلمين حاصلة هذا دين الله فعن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** متفق عليه

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**)). متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه "** متفق عليه

فالشاهد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه من أجل الحق وفي الحق وبالحق إذا لم يكن هذا هو ديدنك وهذه طريقتك والرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب للناس الخير وملازمة الحق حتى اشتد ذلك عليه فأنزل الله عز وجل : {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}

والحق ثقيل على الأنفس لان أعداء الحق كثير ومنهم أهل الباطل بأنواعهم والهوى النفس الأمارة والشيطان إذاً أعداء الحق كثير فإن لم تجاهد نفسك من أجل العمل بالحق ومحبة الحق ومحبة الخيرللمسلمين فأنت صيد لما تقدم من الأعداء.

ولهذا أهل السنة أرحم الناس بالناس لماذا؟

لأنهم يدعونهم إلى الحق اعتقاداً وعلماً وعملاً وإلى دار الحق التي هي إلى الجنة وإلى إرضاء الحق الذي هو الله عز وجل والابتعاد عما يسبب لهم العطب والنار الذي هي حق وعذاب القبر الذي هو حق.

ومن أسباب انتشار الدعوة الناس محبته الله تعالى لما هو حق ومحبته لهداية الناس للحق وإخراجهم من الظلمات إلى النور من ظلمات الشر وظلمات البدع من ظلمات المعاصي من ظلمات الأهواء إلى النور الذي قال الله عز وجل عنه: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) أي يخرجهم من الباطل إلى الحق (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) أي يخرجهم الشيطان من الحق الواضح الجلي البين الظاهر إلى الباطل الصرف.

فليكن حالك الدعوة إلى الحق والترغيب فيه والبيان للحق الحق يحتاج إلى بيان لأن صورة الحق تشوه بسبب كثرة المخالفين وداعي الحق يشوه بسبب كثرة الأعداء فلهذا الحق يحتاج إلى بيان بالصبر والرفق واللطف بالعباد وعدم الانتقام للنفس لو أن الإنسان ينتقم لنفسه ما خرج ولا تكلم ولا ألف ولا صنف ولا أمر ولا نهى كم من الناس تنصح له وهو يتتبع زلة منك وهفوة وكلمة ليطير بها فرحا وما يحرص على سماع الحق والاستفادة من الحق وعلى ملازمة الحق وإنما قد فرخ الشيطان في رأسه فيحاول دائماً في أذية الحق في طريقة أو بأخرى بينما الذي يجب على المسلم أن يصبر ويتصبر من اجل هذا الحق قال الله عز وجل: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ} ركز معي صاحب حق أرسله الحق لماذا ؟

{ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }

دعاهم إلى عبادة الحق سبحانه وتعالى ف{ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }

لكن لما كان هذا القول منهم باطل ولما كان نوح عليه السلام عنده همة عالية في الدعوة إلى الحق حتى صبر عليهم ألف سنة إلا خمسين عاما {قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين} يا ليت نستطيع أن نسلك مثل هذا السلوك العظيم يقولون له أنت ضال أنت منحرف فلم يعنف ولم يشتد حتى ينفذ وإنما قال ليس بي ضلالة هذا الإتهام الذي اتهمتموني به ليس بصحيح لست من أهل الباطل ولست من أهل الخنا ولست من دعاة الزور وولست من دعاة الفجور {ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين (٦١)أبلغكم رسالات

ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون} انظر إلى هذا الخير العظيم حرص على الهداية مع أنه إذا قال لهم أنتم المعرضون أنتم المبطلون أنتم الضالون أنتم المخالفون ما أنكر عليه لكنه حريص على بث الخير وهكذا ثمود قال لنبي الله هود: {إنّا لنراك في سفاهة وإنّا لنظمك من الكاذبين} فيرد عليهم بنفس الرد اللطيف : { قال يا قومِ ليس بي سفاهةٌ ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين (٦٧)أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين}

والنبي صلى الله عليه وسلم يسبونه ويشتمونه ويكسرون المغفر على رأسه وتكسر البيضة وتكسر رباعيته وهو يقول (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)

لأن صاحب الحق مراده رد الناس إلى الحق لا التشفي والتلهي والصد وإنما مراده الخير والبر .

ولهذا لما دعا عليهم عاتبه الله عز وجل بقوله تعالى: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ }

فالأمر كله لله عز وجل فإذاً عباد الله الواجب علينا أن نتواصى بالحق بعد علمنا وعملنا نوصي غيرنا ونوصي أنفسنا لأن الوصية من أعظم الوسائل لنشر الحق ونشر الخير ونشر البر

ثم الشرط الرابع: { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }

وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا تواصي بالحق وهل النصيحة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم (**الدين النصيحة**) إلا تواصي بالحق وهل الخطابة والتصنيف والتأليف إلا تواصي بالحق وهل التدريس إلا تواصي بالحق كل ذلك من الحق الذي يتواصى به أهل السنة أهل الحق أهل الاستقامة

وأيضاً التواصي بالصبر فالحق كما تقدم ثقيل والشئ الثقيل يحتاج إلى صبر.

والحق أيضاً له أعداء والأعداء يؤذون يؤذون بالأقوال يؤذون والأفعال يؤذون بالباطل الذي هم عليه فتحتاج إلى صبر عليه ولهذا قال موسى لقومه { اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }

لأنهم بلغوا في التحمل مبلغاً من حيث أذية فرعون وقومه لهم ولهذا دلهم موسى على طريق يوصلهم إلى انتشار الحق الذي يدعون إليه وإلى ثباتهم على الحق الذي يدلون عليه استعينوا بالله واصبروا وأخبرهم أن الأرض لله يورثها أهل الحق من عباده والعاقبة للمتقين العاقبة لأهل الحق أهل التقى أهل الصلاح.

والتواصي بالصبر أمر مطلوب ومرغب فيه ومحبوب لأن الله عز وجل يحب الصابرين على ملازمة الحق والصابرين عن البعد عن الباطل والصابرين الذين يصبرون على أذية أهل الباطل فالله يحب الصابرين بأصنافهم الثلاثة.

فالمطلوب منا إيمان وعمل ومن تمام الإيمان والعمل التواصي بالحق والتواصي بالصبر وهذه الدعوة المباركة دعوة أهل السنة والجماعة إنما انتشرت بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ما قالوا (نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).

ولا قالوا (منهجنا واسع أفيح يسع الأمة ويسع أهل السنة) ولا قالوا (لا نجعل خلافنا في غيرنا بسبب للخلاف بيننا) ولا قالوا (نصحح ولا نهدم) وإنما قالوا نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر.

إننا في زمن كثُر شره وقل خيره كثُر باطله وقل حقه وإننا بحاجة إلى المراجعة لأنفسنا لعودتنا إلى كتاب ربنا وإلى سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وملازمة ذلك في جميع أوقاتنا ولحظاتنا وحركاتنا وسكناتنا ولنتحآب فيما بيننا ولنتناصح فيما بيننا ولندعو لبعضنا ولنرحم بعضنا فإن الشر كثير وأنت غريب فإذا لم يقع بيننا ذلك فمن الذي سيقوم بنا ومن الذي سيرحمنا ونحن غرباء والغرباء يتعاطفون ويتزاورن ويتراحمون ويتناصحون والرسول صلى الله عليه وسلم يقول كما في الحديث الذي أخرجه أحمد وغيره عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((طوبى للغرباء))، قلنا: وما الغرباء؟ قال: ((قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، مَنْ يَعصيهِمْ أكثَرُ مِمَّن يُطيعهم))**

فالغريب يلازم الدعوة إلى الحق والذين يعصونه كثير والغريب يقبل على الله ويقبل على الخير ويقبل على البر.

والسلفية ليست قميص يتقمص فيه من شاء وينزعه من شاء

السلفية ليست ادعاء:

السلفية علم وعمل واعتقاد ونية.

السلفية هي دين الله الحق الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم.

السلفية هي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بفهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد رضي الله عنهم وغيرهم من الرعيل الأول ومن تبعهم بإحسان.

لنكن كلنا أدوات بناء لهذه الدعوة لنبنيها بالطاعات بالقربات لبث الخير والعلم والبعد عن كل ما يناقض الكتاب والسنة .

والبعد عن كل ما يخالف الكتاب السنة.

الإنصاف مع انفسنا ومع خصومنا فعن عمَّارٌ بن ياسر أنه **قال: (ثلاثٌ من كن فيه فقد استكملَ الإيمانَ الإنصافُ من نفسِهِ والإنفاقُ منَ الإقتارِ وبذلُ السَّلامِ للعالَمِ)**

لا تنصف لنفسك وتجور على غيرك إنصف لغيرك وإنصف لنفسك فإن هذا من أسباب انتصار وظهور الدعوة السلفية.

هذه السورة العظيمة التي تكلمنا عن بعض فوائدها والتقصي يطول.

والعمل بالصالحات التي دلت عليها مطلوب منا جميعا فالله الله في الخير وملازمته والدعوة إليه وعدم الابتعاد عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنقبل على العلم والتعليم والدعوة وليكن قائدنا وإسوتنا ودليلنا في ذلك هو الكتاب والسنة نعم المتمثلة في فهم سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين عباد الله وكما قيل: **(هتف العلمُ بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل).**

{ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }

فالعمل بماء جاءنا في كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم هو من أعظم أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة ومن أسباب الفلاح

اعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ***** لا يَنْفَعُ العِلْمُ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ العَمَلُ

فاستفد من الذي يحثك على الحق ويدلك عليه وإياك من تتبع العثرات والزلات والكلمات خصوصاً السني السلفي الخطأ مردود ممن قاله وممن عمله لكن تحضر عند رجل عند شيخ عند مدرس وأنت لا تريد الإصغاء والاستفادة وإنما تريد مما يخرج من فيه فإذا ما خرج طرت مشرقا ومغربا سبحان الله ليكن حالنا إذا خرج الخير نشرناه وإذا وقع من الإنسان الذي هو معروف بسلامة المعتقد وحسن المقصد ما نظنه يخالف الخير نصحناه وبيناه إذا عُلم أنه إنما هي كلمة خرجت أو كذا النصيحة بالمسلمين الدين النصيحة.

وإن عُلم أنه خطأ فادح في العقيدة حُذر من الخطأ ولا يسابق العلماء ولا يستعجل بالأحكام بل يلازم العلماء: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

فيما أمر الله بسؤالهم والعودة إليهم إلا لفضلهم ومنزلتهم وتعقلهم وتفهمهم ووضعهم للأمور في موطنها قال الله عز وجل:{ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) }

فالله الله بالتفقه وطلب العلم استغلوا أوقاتكم واستغلوا لحظاتكم في ذلك فإن يحيى بن معين قيل له في مرض موته: **ما تشتهي؟ قال: "بيت خالي وسند عالي"**

وفي حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما في البخاري وغيره **أن النبي صلى الله عليه وسلم عند موته جعل يمسح عن وجه ويضع الخُمرة عن وجهه فإذا اغتم كشفها وهو يبث العلم ويدعو إليه وهو يقول لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد**

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. **فَقَالَ : " يَا خَالُ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ ". فَقَالَ : أَخَالٌ أَمْ عَمٌّ ؟ فَقَالَ : " لَا، بَلْ خَالٌ ". قَالَ : فَخَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نَعَمْ "**.أخرجه أحمد

ولما جاء إلى ذلك اليهودي الغلام كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : **"كان غلامٌ يهودي يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمرض فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: (أسلم) ، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلَمَ، فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار) "**رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (**أَقْبَلَ رَجُلٌ شَابٌّ يُثْنِي عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ وَقَدْ طُعِنَ وَالنَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، فَقَالَ: " يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَتْقَى لِرَبِّكَ وَأَنْقَى لِثَوْبِكَ، قَالَ عَبْدُ الله: يَرْحَمُ الله عُمَرَ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا كَانَ فِيهِ أَنَّهُ رَأَى حَقًّا لله يَتَكَلَّمُ فِيهِ ").**

فنحن مطالبون جميعاً بالعلم والعمل والدعوة إلى الله عز وجل ونسأل الله ذلك نسأل الله الهداية والتوفيق والسداد نحن في الله وبالله فإذا خالفنا ذلك فإن العطب مصيرنا ومآلنا وسبحانك الله وبحمد لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك والحمد لله رب العالمين